دردشة فوق المنصّة

سمير كتّاني (فلسطين)

استوى العريس الوسيم في المقعد الوثير المخصّص له فوق منصّة العرس، وإلى يمينه جلست عروسه في كامل زينتها. كان يرتدي بذلة سوداء رسميّة، مع ربطة عنق تليق بها وبالقميص الّذي كان يلبسه تحتها. بينما لبست عروسه فستان الزّفاف الأبيض، وقد تمّ ترتيب شعرها بعناية ما بعدها عناية.

وحولهما جلس المدعوّون والمعارف، وقد بدأت الفرقة الموسيقيّة تعزف في انتظار ظهور المطرب المدعوّ إلى إحياء حفلة الزّفاف. وكانت صالة الاحتفالات تضجّ بأنغام الموسيقى الرّاقصة الّتي كانت تمهّد لظهور نجم الحفل "عماد راجي".

وخلال هذا الوقت كان العريس يميل بوجهه نحو عروسه يحادثها، وكانا يبتسمان في وجوه بعضهما البعض، حتّى إذا دخل المطرب الشّعبيّ "عماد راجي" اختفت الابتسامة العريضة عن وجه العروس، وحلّت محلّها تكشيرة وقطوب، وتنهّدت بانزعاج، وحانت من العريس التفاتة إلى عروسه وقد كست وجهها هالة من الحزن والغضب في آن، فما كان منه إلاّ أن سألها

بدهشة شديدة: "ما بك؟ ماذا حدث؟ هل حدث شيء"؟

فاكتفت العروس بأن حدجته بنظرة فيها غير قليل من الحدّة واللّوم، دون أن تتبس ببنت شفة.

فأعاد العريس سؤاله، وقد شعر بنوع من القلق والدّهول: "ماذا هناك، أخبريني ما الّذي حصل!".

فقالت بغلظة رافعة صوتها في أذنه كي يسمعها وسط ضجيج الموسيقى: "ألم أخبرك يا سيّد بأنّي أفضّل أن يحيي حفلة عرسنا النّجم "سعيد جواد" وليس "عماد راجي"؟!

وأشاحت بوجهها بعيدًا عنه، ناظرة إلى الجهة الأخرى. أجاب رافعًا صوته، وقد شوهد وهو يميل بوجهه ناحيتها بينما تبدو غير عابئة بنظرته ولا بجوابه: "ولكن يا عزيزتي أخبرتك أنّ سعيد جواد غير متفرّغ هذا الأسبوع وأنّه بصدد إحياء حفلات أخرى. لقد قلت لك هذا منذ البداية!".

فالتفتت إليه بغضب قائلة: "وادّعيت أنّك لن تستسلم وستقنعه بإحياء حفلة عرسنا بأيّ ثمن. أليس هذا ما قلته لي؟ لقد كنت تضحك منّي إذن!"

فقال، وقد أشاحت بوجهها عنه من جديد: "ولكنّي حاولت فعلاً فلم أفلح، قال

لي إنّه لا يمكنه التّراجع عن وعوده لعرسان آخرين اتّفق معهم على إحياء حفلات أعراسهم".

صمتت، وصمت هو، ثمّ ما فتئت أن توجّهت إليه قائلة: "لكنّك يا سيّد لم تخبرني بذلك، وليس هذا ما فهمته منك، لقد فهمت أنّ المسألة منتهية حينما لم ترجع إليّ بجواب!".

فقال لها مهدِّئًا: "طيّب ماذا في الأمر؟ ما المشكلة في أن يحيي حفل زفافنا عماد راجي؟ المهمّ أن نجد من يحيي الحفل ويسعد الحضور، والحمد لله أنّي استطعت الاتّفاق مع عماد راجي"!

فقالت ساخرة: " يا سلام!! وهل تظنّه حفل نهاية العام الدّراسيّ؟! إنّه حفل زفافي..!". ثمّ سكتت وقد طفرت الدّموع من عينيها، وما لبثت أن قالت بحسرة: "إنّها ليلة العمر بالنّسبة إليّ وكان الأولى بك أن تهتمّ بمشاعري في هذه اللّيلة على الأقلّ!".

وأدارت وجهها إلى النّاحية الأخرى من جديد متجاهلة إيّاه، حاول الاقتراب بوجهه منها متابعًا كلامه: "وما العلّة أصلاً في مطرب في مثل قامة عماد رادي؟ إنّه مطرب معروف وذو خامة صوت ممتازة، و.."

نظرت إليه نظرة خاطفة وقاطعته قائلة: " لو سمحت لا تتكلّم معي الآن، إنّي

منزعجة منك"!

كان هذا الحوار يدور بين العروسين وسط ضجيج الموسيقى وانشغال الحضور في الحديث فيما بينهم وفي الاستماع إلى عماد راجي الّذي راح يلهب أحاسيس الجماهير بصوته.

لم يدر العريس ما يقول، فحاول تهدئة عروسه بقوله: "حصل خير إن شاء الله". وتوقّع أن تردّ بالمثل وتعتبر الأمر بسيطا طالما حدث وانتهى، إلاّ أنّها سكتت ومسحة من الحزن تكسو وجهها، متجاهلة عريسها تمامًا.

وبعد قليل من الوقت نجح العريس في فتح الحوار من جديد مع عروسه، مؤكّدا لها أنّه يحبّها ويكنّ لها كلّ إعجاب وتقدير. فلانت قليلاً، لكنّها حذّرته بنبرة حادةٌ قائلة: "اعلم أنّي لا أحبّ سياسة فرض الأمر الواقع. أحبّ أن تُنفّذ الوعود المقطوعة لي دائمًا".

فاجأته نبرتها الشّديدة، أحسّ أنّه لم يخطىء، وأنّه إذا أخطأ فإنّ خطأه بسيط ولا يستحقّ كلّ هذا الغضب منها. الأمر ليس شخصيًّا ضدّها، فلماذا تظهر ردّ فعل غير مناسب للحدث؟!

تقدّمت إحدى قريبات العريس وباركت للعروسين، ثمّ دعتهما إلى أداء رقصة ثنائيّة، فصارا يدوران والجمهور يصفّق لهما.

وبعد الرّقصة حان وقت كسوة الحليّ، فأطلق المطرب أغنية خاصّة بالحليّ والعروس، ووقف العروسان بجانب بعضهما، وفتح العريس علبة فيها مجموعة من الحليّ المتنوّعة، وبينها سوار ذهبيّ، أدخل ذراع عروسه فيه، فأحاط السّوار بالذّراع. وجلس العروسان في مقعديهما.

تنبّه العريس إلى أنّ عروسه تشيح بوجهها عنه، فلمس في سلوكها هذا حزنًا وغضبًا شديدين، وتأكّد من هذا حين وجّه إليها سؤالاً وتجاهلته، ولم تنظر ناحية وجهه أبدًا.

كانت تشعر أنّ عليه أن يعلم سبب غضبها، لكنّه فوجيء بشدّة من سلوكها هذا، وكان يظنّ أنّها ستسعد بالمصاغ الّذي أهداها إيّاه. ولما اشتدّت حيرته، شعر بغضب يشتعل أعماقه، فرفع صوته قائلاً لها: "هل تسمحين بإخباري بما أخطأت به هذه المرّة"؟

قالت دامعة: "ليس هذا السّوار هو الّذي اتّفقنا على شرائه عندما ذهبنا إلى الصّائغ.. لقد اتّفقنا على أن تشتري السّوار الآخر المرصّع بحبّات من الماس"!

أجابها: "ولكنّك عدلت عن رأيك في النّهاية بحجّة أنّ هذا السّوار أفضل وأثقل وزنًا!"

قالت بحدّة دون أن تنظر في عينيه: "هذا غير صحيح، لأنّني قلت إنّني أفضّل السّوار المرصّع بالماس على هذا السّوار، رغم ثقل وزن هذا الأخير".

قال: "أنت مخطئة. أنسيت أنّك قضيت أكثر من نصف ساعة وأنت محتارة بين القطعتين، ثمّ رجّحت هذه القطعة؟"

قالت: لكنّي كنت أعلمتك من البداية بأنّي أفضّل السّوار الماسّيّ".

قال: " ولماذا إذن ظللت تقيسين كلاً منهما طالما حسمت أمرك من البداية"؟

قالت: "كنت فقط أريد فحص القطعة الثّانية.. وهل هذا أيضًا لا يحقّ لي؟ لا تخف! لم أكن أريد منك أن تشتري القطعتين معًا، لكنّي كنت أودّ أن أرى القطعة الثّانية عن قرب، فلربّما اشتريتها من مالي الخاصّ".

قال محاولاً تهدئتها: "حسنًا، حصل سوء تفاهم فيما يبدو، الآن ها هو السّوار يزيّن معصمك، لا يعيبه شيء، وهو ثقيل جدًّا. لا يمكن العودة إلى الوراء الآن، ونحن في القاعة أمام المدعوّين".

وهنا، اشتدّ غضب العروس، فقالت بحدّة، وقد ملأت الدّموع عينيها: "هذا ما يهمّك فقط، المدعوّون! "

ثمّ ما لبثت أن استدركت قائلة بغضب: "القد قلت لك أنا أكره سياسة فرض الأمر الواقع. أنت تستهتر برغباتي وتحضر ما تفضّله أنت لا ما أفضّله وأختاره أنا".

فقال مغضبًا: "لست أفهمك! لماذا أنت محتدّة؟ ولماذا تبكين من أجل شيء تافه كهذا؟!"

صاحت: "أنت تستهتر بمشاعري.. لا يحقّ لك أن تقول إنّ الأمر تافه. بالنّسبة إليّ هذه ليلة العمر، وهي اللّيلة التي كنت أحلم بها، وأنت تفرض عليّ اختياراتك أنت".

بلغ الغضب مداه، قال لها: "أنت الآن عرّفتني ما أنت!". صاحت: الآن أعرف أنّك بخيل ومتعصّب وعنيد، فإذا كنت في ليلة عرسي لا تحترم رغباتي واختياراتي، فمتى ستحترم اختياراتي وتلبّي طلباتي إذن"؟

فقال صائحًا: "وإذا كنت لا تستطيعين كبح جماح نفسك عن توافه الأمور في ليلة الزّفاف، ففي أيّ مناسبة أخرى ستفعلين ذلك؟!"

نهضت قائمة وخلعت الحليّ من يديها وأخذت تلقي بها على الأرض، فقال بعصبيّة: "أنت طالق!".

سُمعت هذه العبارة رغم الضّجيج، إذ بدا العريس واقفًا وهو يقولها بغضب.

سكت المغنّي، وتوقفت الموسيقى، وذهل الحضور، وأخذوا يتفرّقون مغادرين المكان بعد أن انسحبت العروس من الصّالة بسرعة.....

***